رقم ٧٩٨٠
٢٧٢٤٦
مجتبى

الأمام الخامس

الأمام محمد بن علي الباقر

عليه السلام

BP
٤٤
٩٠٤٣پ/

لجنة التحرير في طريق الحق

اسم الكتاب: الإمام الخامس محمد بن على [عليه السلام] الإمام الباقر
اسم الناشر: موسسه في طريق الحق
الجزء: 1
اسم ولقب المستخدم: حميدرضا غريب رضا
اسم الموقع: www.noorlib.ir (مكتبة نور الرقمية)
تاريخ التحميل: 1400/04/27
عدد الصفحات المحمّلة: 27

قسم: بخش 1

من الصفحة 1 إلى الصفحة 27 (ما يعادل 27صفحات)

الامام الخامس

محمد بن علي [عليه السّلام]
الامام الباقـــر

اسم الكتاب: الامام الخامس ــ محمد بن علي الباقر ــ (ع)
المؤلف: لجنة التحرير في طريق الحق
المترجم: محمّد عبدالمنعم الخاقاني
الناشر: مؤسسة في طريق الحق
عددالنسخ: ٣٠٠٠
المطبعة: سلمان فارسي
الطبعة الاولىٰ: ١٣٦٩ هـ . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

خامس الائمة الامام الباقر (ع)

هو الامام ابو جعفر باقرالعلوم وخامس الائمة ابصرت عيناه النور في المدينة المنورة يوم الجمعة الاول من شهر رجب عام سبعة وخمسين من الهجرة.[1] يسمىٰ محمداً وكنيته ابوجعفر ولقبه باقرالعلوم.

ولد طاهراً مطهراً ــ كغيره من الائمة ــ تحيط به هالة من الجلال والعظمة.

ينتسب الامام الباقر (ع) الىٰ النبي (ص) وعلي والزهراء عليهما السّلام من كلتا الجهتين ــ الاب والام ــ فأبوه هو الامام زين العابدين ابن الامام الحسين، وامه هي السيدة الجليلة ام عبدالله[2] بنت الامام الحسن المجتبىٰ عليهم السّلام.

وقد كانت عظمة الامام الباقر (عليه السّلام) حديث الخاص والعام، فحيثما دار الحديث عن رفعة الهاشميين والعلويين والفاطميين فهو

---

١ ــ مصباح المتهجد، للشيخ الطوسي ص ٥٥٧.

٢ ــ قال عنها الامام الصادق (ع): «كانت من النساء المؤمنات ا لتقيات المحسنات». تواريخ النبي والآل، للتستري، ص ٤٧.

ينظر اليه علىٰ انه الوريث الاوحد لكل تلك القدسية والشجاعة والعظمة وانه الهاشمي العلوي الفاطمي بعدهم.

ومن خصائصه انه كان اصدق الناس لهجة وانضرهم وجهاً واكرمهم خلقا.

وفيما يلي نذكر جانبا من منزلته وجلاله:

قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لأحد صحابته الأجلاّء وهو جابر بن عبداللّه الانصاري: يا جابر ستعيش حتىٰ تدرك ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السّلام) الذي اسمه في التوراة الباقر فاذا كان ذلك فأبلغه سلامي.

و توفي رسول الله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وعمّر جابر طويلاً... فدخل يوماً دار الامام زين العابدين فرأىٰ الامام الباقر (عليه السّلام) وهو لا يزال طفلا يافعاً فقال له: أقبل فأقبل، قال: ادبر فأدبر، و جابر ينظر اليه ويراقب مشيته وحركاته فقال: انها شمائل النبي ورب الكعبة.

ثم التفت الىٰ الامام السجاد (عليه السّلام) وسأله: من هو هذا الطفل؟

قال: انه ابني وهو الامام من بعدي «محمد الباقر».

فقام جابر وقبّل قدميه وقال: فداك نفسي يا ابن رسول الله (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، تقبّل سلام وتحيّات ابيك رسول الله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فانه بعث اليك بسلامه.

فامتلأت عينا الامام الباقر (عليه السّلام) بالدموع وقال: السلام على ابي رسول الله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ما دامت السماوات

والارض وعليك يا جابر بما ابلغتني سلامه.[٣]

علمه:

كان الامام الباقر (عليه السّلام) كسائر الائمة يأخذ علمه من منبع الوحي فلم يكن لهم من يعلمهم وهم لا يتعلمون من بشر فكان جابر بن عبدالله يأتيه ويكتسب منه العلم ويقول: «يا باقر! اشهد انك اوتيت العلم صبيا».[٤]

يقول عبدالله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء يتواضعون لأحد كتواضع الحكم بن عتيبة ــ وكان له عندالناس منزلة علمية رفيعة ــ بين يدي الامام الباقر (عليه السّلام)، فكأنه طفل بين يدي معلمه.[٥]

وقد كان سمو شخصيته وعظمة علمه تأخذ بالألباب حتىٰ ان جابر بن يزيد الجعفي كان يقول عنه:

«حدثني وصي الأوصياء ووارث علوم الانبياء محمدبن علي بن الحسين...».[٦]

سأل رجل عبدالله بن عمر عن مسألة فبقي متحيراً في جوابها ثم اشار الىٰ الامام الباقر (عليه السّلام) وقال: سل من هذا الغلام واعلمنى بالجواب. فسأل الرجل الامام عنها وسمع منه جوابا مقنعا، ونقل ذلك لعبد الله بن عمر، فقال عبدالله: «ان هؤلاء اهل بيت جاءهم العلم من

---

٣ ــ امالي الشيخ الصدوق ص ٢١١، الطبعة الحجرية.

٤ ــ علل الشرائع للشيخ الصدوق، ج١ ص٢٢٢، طبعة قم.

٥ ــ الارشاد للشيخ المفيد ــ طبعة الاخوندي ــ ص٢٤٦.

٦ ــ الارشاد للشيخ المفيد ــ طبعة الاخوندي ــ ص٢٤٦.

عند الله».[٧]

ينقل ابو بصير: انني كنت برفقة الامام الباقر عليه السّلام فدخلنا مسجد المدينة والناس تروح وتجيء، فقال لي الامام (عليه السّلام): سل الناس هل يشاهدونني؟ فكنت كلما لقيت رجلاً سألته: هل رأيت ابا جعفر، فيجيبني بالسلب، والامام (عليه السّلام) واقف الىٰ جانبي وهم لا يرونه. وبينا نحن كذلك اذ دخل علينا ابو هارون وهو احد اصحاب الامام المخلصين وقد كان بصيراً، فقال لي الامام اسأله ايضا.

فسألت ابا هارون: هل رأيت ابا جعفر؟

فأجابني: أليس هو واقفا الىٰ جنبك؟

قلت: من اين عرفت؟

قال: كيف لا اعرف وهو نور ساطع.[٨]

وينقل ابوبصير ايضا: ان الامام الباقر (عليه السّلام) سأل رجلاً من اهل افريقيا عن رجل من شيعته اسمه «راشد»، فأجاب: انه بخير ويبلغك سلامه.

فقال الامام: يرحمه الله.

فقال الرجل متعجبا: أهو قدمات؟

فقال: نعم.

فسأل: متىٰ حدث ذلك؟

قال: بعد مغادرتك بيومين.

---

٧ ــ المناقب لابن شهر آشوب ــ طبعة النجف ــ ج٣ ص٣٢٩.

٨ ــ بحارالانوار ج ٤٦ ص ٢٤٣، نقلا عن خرائج الراوندي.

فقال الرجل: انه والله لم يكن مريضا.

فأجاب: وهل كل من يموت فهو عن مرض؟

وعندئذ سأل ابوبصير الامام (عليه السّلام) عن ذلك الشخص المتوفىٰ.

فقال الامام: انه كان من شيعتنا ومحبينا، أتظن انه ليس لنا عيون بصيرة وآذان سميعة معكم، بئس الظن! والله ما من شئ من افعالكم يخفىٰ علينا، فاعلموا اننا معكم وعودّوا انفسكم علىٰ فعل الخير وكونوا من اهله حتىٰ تُعرفوا به ويصبح علامة عليكم، وانّني لآمر ابنائي وشيعتي بهذا المنهج.[٩]

يقول احد الرواة: كنت في الكوفة اعلّم القرآن لاحدىٰ النساء، فلاطفتها يوماً، ثم قصدت لقاء الامام الباقر (عليه السلام) فلما لقيته بادرني قائلا:

ان اللّه لا يعبأ بمرتكب الذنب حتىٰ في الخفاء، ماذا قلت لتلك المرأة؟

فأخفيت وجهي من الخجل وتبت، فقال لي الامام (عليه السّلام) لا تعد لمثل هذا.[١٠]

اخلاق الامام الباقر (عليه السّلام):

كان قد قطن المدينة رجل من اهل الشام وهو يتردّد كثيراً علىٰ بيت الامام (عليه السّلام) و يقول له:

---

٩ ــ بحارالانوار ج ٤٦ ص ٢٤٣، نقلا عن خرائج الراوندي.

١٠ ــ بحارالانوار ج ٤٦ ص ٢٤٧، نقلا عن خرائج الراوندي.

«ليس علىٰ وجه الارض ابغض اليّ منك، ولا أشعر بعداوة مع أحد أشدّ من العداوة التي اشعر بها لك ولأهل بيتك! واعتقد ان الطاعة لله وللنبي ولأمير المؤمنين لا تتمّ إلّا بالعداء لك، واذا كنت تراني اتردد علىٰ بيتك فذلك لانك خطيب واديب وذو بيان رائع!».

ومع هذا كله كان الامام (عليه السّلام) يعطف عليه ويحدثه بلين ورفق. ومرت الايام وابتلي الشامي بالمرض بحيث واجه الموت ويئس من الحياة فأوصىٰ ان يصلي عليه ابوجعفر (الامام الباقر «عليه السّلام») بعد موته.

وفي منتصف احدىٰ الليالي لاحظ اهل الرجل انه قد قضىٰ نحبه، فغدا وصيه الىٰ المسجد صباحاً ورأىٰ الامام الباقر عليه السّلام قد فرغ من صلاته وجلس للتعقيب[11]، وكانت تلك عادته، فقال الوصي للامام: ان ذلك الرجل الشامي قد أسرع للقاء ربه وأوصىٰ ان تقيم الصلاة عليه انت.

فقال الامام (عليه السّلام): انه لم يمت ... لا تتسرعوا وانتظروني حتىٰ اجيء.

ثم نهض فجدّد وضوءه وصلىٰ ركعتين ورفع يديه بالدعاء ثم سجد واستمر في سجوده حتىٰ أشرقت الشمس، وعندئذ جاء الىٰ بيت الشامي وجلس عند رأسه وناداه فأجاب، ثم أجلسه الامام (عليه السّلام) وأسند ظهره الىٰ الحائط وطلب له شرابا فسقاه اياه وقال لأهله: ناولوه طعاما بارداً، ثم عاد ادراجه.

---

١١ ــ التعقيب: هو مجموعة الأدعية والاذكار التي تقرأ بعد الصلاة مباشرة.

ولم يمض وقت طويل حتىٰ استعاد الشامي صحته فجاء الىٰ الامام (عليه السّلام) قائلا: اشهد انك حجة اللّه علىٰ الناس...».[١٢]

يقول «محمد بن المنكدر» ــ وهو من صوفيي ذلك العصر ــ خرجت من المدينة في يوم شديد الحرارة فرأيت ابا جعفر محمّد بن علي بن الحسين (عليهما السّلام) عائداً الىٰ مزرعته من زيارة تفقديّة ــ ويرافقه اثنان من غلمانه أو أصحابه ــ فقلت في نفسي: «رجل من كبار قريش وهو في طلب الدنيا في مثل هذا الوقت! لابد لي ان اعظه».

دنوت منه وسلمت عليه فردّ الامام السلام علي بشدة والعرق يتصبّب من رأسه ووجهه. فقلت له: سلمّك اللّه أرجل من مثلك يسعىٰ وراء الدنيا في هذا الوقت! ما هو موقفك لو عاجلك الاجل وأنت علىٰ هذه الحال؟ فأجابني: واللّه لو وافاني الاجل وانا في هذه الحال لكنت في طاعة اللّه، لانني بهذه الطريقة اغني نفسي عنك وعن سائر الناس، واني لأخشىٰ ان يغتالني الاجل وانا متورّط في معصية.

قلت: رحمك اللّه ظننت انني سوف اعظك لكنك انت الذي وعظتني وايقظتني.[١٣]

الامام والامويون

ان الامام سواء أعاشر الناس ام اعتزلهم واصبح جليس داره فذلك لا يؤثر علىٰ امامته، لان الامامة كالرسالة منصب الهي، ولا يصح

---

١٢ ــ امالي الشيخ الطوسي ــ ص ٢٦١ ــ الطبعة الحجرية، باختصار.

١٣ ــ الارشاد للشيخ المفيد ــ ص ٢٤٧ ــ طبعة الآخوندي.

للناس ان يختاروا امامهم حسب رغباتهم.

والغاصبون والظالمون كانوا دائماً ينظرون بعين الحسد الىٰ منصب الامامة الرفيع، ويغتصبون الحكم والخلافة ــ التي هي من مختصات الائمة ــ بأي شكل من الاشكال، ولا يتورعون عن اي جريمة في سبيل تحقيق هذا الهدف.

وقد قارن جانب من مرحلة امامة الامام الباقر عليه السّلام الحكومة الجائرة لهشام بن عبدالملك الاموي. وكان الامويون ــ ومن جملتهم هشام ــ يعلمون جيداً انهم اذا استطاعوا ان يسلبوا من الائمة عليهم السّلام مكانتهم في الظاهر وان يستولوا علىٰ الحكم بالظلم والجور فانهم لا يستطيعون ابداً ان يسلبوا منهم تسلطهم علىٰ القلوب والارواح.

وقد كانت عظمة الائمة المعنوية جذابة الىٰ الحدّ الذي ادخلت الرعب في قلوب الاعداء والغاصبين وارغمتهم علىٰ التواضع امامهم.

ففي احد الاعوام جاء هشام الىٰ الحج وكان الامام الباقر والامام الصادق عليهما السّلام ضمن الحجاج، فخطب الامام الصادق(ع) يوماً في الحجيج قائلا:

«الحمدللّه الذي بعث محمداً (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بالحق وشرفنا به، فنحن الذين اصطفانا اللّه من بين خلقه ونحن خلفاء اللّه (في الارض)، وقد افلح من اتبعنا وخاب من خالفنا ونصب لنا العداوة».

يقول الامام الصادق (عليه السّلام) فيما بعد: فنقلوا قولي لهشام ولكنه لم يتعرض لنا بسوء حتىٰ عاد الىٰ دمشق وعدنا الىٰ المدينة، فأوعز الىٰ واليه في المدينة ان يرسلنا انا وأبي الىٰ دمشق.

فلما وصلنا اليها لم يأذن لنا هشام بالدخول عليه ثلاثة ايام، حتىٰ اذا

كان اليوم الرابع دخلنا عليه وهو جالس علىٰ عرشه واصحاب بلاطه مشغولون امامه بالرمي واصابة الاهداف.

فنادىٰ هشام والدي باسمه قائلا له: ساهم في الرماية مع كبار قبيلتك.

فقال والدي: لقد اصبحت شيخا طاعناً في السن، وانتهىٰ زمان الرماية بالنسبة الي فاعذرني.

فأصر هشام واقسم عليه إلا ان يفعل، وامر شيخا من بني امية ان يناوله قوسه، فتناول والدي القوس منه ووضع فيه سهما واطلقه فأصاب عين الهدف، ووضع السهم الثاني فيه واطلقه فغرسه في السهم الاول وشقه الىٰ نصفين، وهكذا فعل في الثالث حيث غرسه في الثاني، والرابع في الثالث، والتاسع في الثامن، فارتفعت اصوات الحاضرين، واضطرب هشام وصاح:

احسنت يا اباجعفر! انك خير رماة العرب والعجم فكيف تتصور ان زمان الرماية قد انقضىٰ عنك ... وفي نفس ذلك الوقت اتخذ قراراً بقتل والدي فأطرق يفكر ونحن وقوف امامه، فطال وقت الوقوف، ولذلك فقد استولىٰ الغضب علىٰ والدي، وكان اذا اُغضب نظر الىٰ السماء وبدا الغضب واضحاً علىٰ محياه الشريف، فأدرك هشام غضبه ودعانا الىٰ الجلوس معه ونهض من مكانه واحتضن والدي واجلسه علىٰ يمينه ثم عانقني واجلسني علىٰ يمين والدي وراح يتحدث مع والدي قائلا:

«ان قريشا لتفتخر بك علىٰ العرب والعجم، سلمت يدك، ممن تعلمت هذه الرماية وكم انفقت من وقت في تعلمها؟ فأجاب والدي: انت تعلم ان اهل المدينة يما رسون الرماية وقد ما رستها في فترة اثناء

شبابي ثم هجرتها حتىٰ طلبتها مني الآن.

فقال هشام: منذ عرفت نفسي ولحد الآن لم أر ماهراً في الرماية بهذه الرقة والجودة ولا اظن ان احداً علىٰ وجه الارض يتقنها افضل منك، فهل ابنك جعفر يتقن الرماية كما تتقنها انت؟

قال: اننا نرث «الكمال» و «التمام» كما انزلهما الله علىٰ نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال تعالىٰ:

«اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الاسْلامَ دِيناً»[١٤].

فالأرض لا تخلو ممن يستطيع النهوض بمثل هذه الاعمال بصورة كاملة.

و بسماع هذه الجمل حجظت عينا هشام واحمرّ وجهه من الغضب واطرق قليلا ثم رفع رأسه وقال: ألسنا نحن واياكم من ابناء «عبدمناف»، فنحن متساوون في النسبة اليه؟

فقال الامام: أجل لكن الله سبحانه اختصنا بميزات لم يمنحها للآخرين.

فسأل هشام:

«الم يبعث الله النبي من ابناء عبدمناف لكل الناس اجمعين من ابيض واسود واحمر؟ فمن اين ورثتم هذا العلم بينما لن يأتي نبي بعد نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)، وانتم ايضا لستم انبياء؟

---

١٤ ــ سورة المائدة ــ الآية ٣.

فأجابه الامام (عليه السّلام): لقد خاطب الله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في القرآن الكريم بقوله: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ».[١٥]

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي تصرح الآية بان لسانه تابع لله قد اختصنا بميزات لم يمنحها للآخرين، ومن هنا فقد اودع عند أخيه علي (عليه السّلام) اسراراً لم يكشفها للآخرين، ويقول الباري جلّت آلاؤه في هذا المجال:

«وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ».[١٦]

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السّلام): «لقد طَلبتُ مِن الله ان يجعلها اذنك».

وقال علي بن ابي طالب (عليه السّلام) في الكوفة:

«لقد فتحَ لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألف باب من العلم يفتح من كل باب منها الف باب آخر».

وكما ان الله تعالىٰ اختص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكمالات معينة فان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضا اصطفىٰ عليا (عليه السّلام) وعلّمه اموراً لم يعلّمها الآخرين، وعلمنا مكتسب من ذلك المنبع الفيّاض، ونحن وحدنا الذين ورثنا ذلك دون غيرنا.

فقال هشام: ان علياً يدعي العلم بالغيب بينما الله لم يطلع احداً علىٰ الغيب.

---

١٥ ــ سورة القيامة ــ الآية ١٦.

١٦ ــ سورة الحاقة ــ الآية ١٢.

فأجاب والدي:

لقد انزل الله كتاباً علىٰ نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بيّن فيه كل شيْ مما يتعلق بالماضي والمستقبل الىٰ يوم البعث، فهو عزّوجلّ يقول في ذلك الكتاب:

«وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْياناً لِكُلِّ شيْءٍ».[١٧]

و في آية اخرىٰ يقول تعالىٰ:

«وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ».[١٨]

و يقول أيضاً:

«ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ».[١٩]

وقد أمر الله سبحانه نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يُعَلّم عليا (عليه السّلام) أسرار القرآن كلها، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للأمة:

«عَلِيٌّ أقضاكُم».

فبقي هشام صامتا... وغادر الامام (عليه السّلام) مجلسه.[٢٠]

الامام يحتج علىٰ المخالفين

كان عبدالله بن نافع احد المعادين لأميرالمؤمنين علي (عليه السّلام)

---

١٧ ــ سورة النحل ــ الآية ٨٩.

١٨ ــ سورة يس ــ الآية ١٢.

١٩ ــ سورة الانعام ــ الآية ٣٨.

٢٠ ــ دلائل الامامة للطبري الشيعي ــ ص١٠٤ــ١٠٦ ــ الطبعة الثانية في النجف. باختصار ونقل بالمعنىٰ في بعض الجمل.

وكان يقول: لو وجد شخص علىٰ وجه الارض بحيث يستطيع اقناعي بان الحق كان مع علي في قتل «خوارج النهروان» لقصدته وان كان في المشرق او المغرب.

فقيل له أتظن ان ابناء علي (عليه السّلام) لا يستطيعون أيضا ان يثبتوا لك ذلك؟

فقال: وهل يوجد في ابنائه عالم؟

قالوا: ان هذا نفسه دليل علىٰ جهلك! وهل يمكن ان لا يكون في ابناء علي (عليه السّلام) عالم؟!

فسأل: ومن هو عالمهم في هذا الزمان؟

ودلوّه علىٰ الامام الباقر (عليه السّلام)، فقصد المدينة مع اصحابه وطلب هناك مقابلة الامام (عليه السّلام).

وأمرالامام (عليه السّلام) احد غلمانه ان ينزله مع متاعه و يخبره بانه سوف يقابل الامام غداً.

وفي صباح اليوم التالي جاء عبدالله واصحابه الىٰ مجلس الامام، وكان (عليه السّلام) قد دعا ابناء وعوائل المهاجرين والانصار، ولما التأم الجمع بدأ الامام (عليه السّلام) حديثه وكان يرتدي ثوبا فيه حمرة و بدا كأنه البدر فقال:

«الحمدلله الخالق للزمان والمكان والكيفيات، والحمدلله الذي ليس له سِنةٌ ولا نوم وله ملك السماوات والارض... أشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمداً عبده المصطفىٰ ونبيه المقرب، الحمدلله الذي شرفنا بنبوته واختصّنا بولايته.

يا ابناء المهاجرين والانصار: من كان منكم يتذكر فضيلة لعلي بن

ابي طالب (عليه السّلام) فليذكرها.

فأخذ كل واحد من الحاضرين يذكر فضيلة له، حتىٰ انتهىٰ الحديث الىٰ «قضية خيبر» فقالوا: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اثناء الحرب مع يهود خيبر قال:

«لأُعْطِيَنَّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ، كَرّاراً غَيْرَ فَرّارٍ لا يَرْجِعُ حَتّىٰ يَفْتَحَ اللّهُ عَلىٰ يَدَيْهِ».

وفي اليوم التالي سلّم الراية لأمير المؤمنين (عليه السّلام)، وقد هزم اليهود في معركة مهيبة مثيرة وفتح حصنهم الضخم.

فالتفت الامام الباقر (عليه السّلام) لعبدالله بن نافع وسأله: ما تقول في هذا الحديث؟

قال: انه حديث صحيح لكن عليّا قد كفر بعد ذلك وقتل الخوارج بغير حق!

قال الامام (عليه السّلام): ثكلتك أُمك هل كان الله حين أحب عَليّا يعلم انه سوف يقتل الخوارج أو لا يعلم؟

ان قلت ان الله لا يعلم فقد كفرت.

قال: كان يعلم.

قال الامام (عليه السّلام): هل كان الله يحبه لانه مطيع له ام لانه عاصٍ ومذنب؟

قال: كان الله يحبه لانه مطيع له (بمعنىٰ انه لو كان معرضا للذنب في المستقبل لكان الله عالما بذلك ولا يصبح محباً له، ومن هنا يُعلم ان قتل الخوارج كان طاعة لله).

قال الامام (عليه السّلام): قم لقد هزمت ولا تملك جوابا.

فنهض عبدالله وهويتلو هذه الآية:

«حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْاَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ». [٢١]

اشارة الىٰ ان الحقيقة قد اتضحت كالصبح، وقال:

«اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ». [٢٢و٢٣]

ضرب النقود والدراهم الاسلامية بأمر الامام الباقر عليه السّلام [٢٤]

كانت صناعة الورق في القرن الاول الهجري مقصورة علىٰ بلاد الروم. وحتىٰ نصارىٰ مصر الذين كانوا يصنعون الورق فانهم ايضا يضربونها علىٰ طريقة الرومان و بعلامة المسيحية «الأب والابن والروح».

وكان عبدالملك الاموي ذكيا، فقد لاحظ ورقة من هذا القبيل فتعمق في الشعار المنقوش فيها واصدر أمره حتىٰ يترجم الىٰ اللغة العربية، ولما عرف معناه استبد به الغضب من انتشار مثل هذه المصنوعات في مصر وهي بلد اسلامي، فكتب الىٰ عامله في مصر علىٰ

---

٢١ ــ سورة البقرة ــ الآية ١٨٧.

٢٢ ــ سورة الانعام ــ الآية ١٢٤.

٢٣ ــ بصورة ملخصة من الكافي ــ ج ٨ ص ٣٤٩.

٢٤ ــ ان بعض الباحثين ينسب هذا الموضوع للامام السّجّاد (عليه السّلام)، و يقول البعض الآخر ان الامام الباقر (عليه السّلام) هو الذي اقترحه بأمر من الامام السجاد (عليه السّلام). ومن شاء التوسع في هذا المضمار فليرجع الىٰ كتاب العقد المنير ج١.

الفور يأمره ان ينقش شعار التوحيد:

«شَهِدَ اَللّٰهُ اَنَّهُ لا اِلٰهَ إلّا هُو».

علىٰ الاوراق منذئذ، وعمّم الامر علىٰ سائر عماله في البلاد الاسلامية الاخرىٰ حتىٰ يمحوا شعائر الشرك المسيحي من الاوراق القديمة ويستخدموا اوراقاً جديدة.

وانتشرت الاوراق الجديدة وعليها شعار التوحيد الاسلامي ووصلت حتىٰ الىٰ بلاد الروم ايضا وانتهىٰ خبرها الىٰ القيصر فكتب رسالة الىٰ عبدالملك يقول فيها:

«ان صناعة الورق كانتَ دائما بالعلامة الرومية، فان كان منعك لهذا أمراً صحيحاً فان معنىٰ ذلك ان عمل خلفاء الاسلام السابقين كان خطأ، وان كان عملهم صحيحا اذن لابد ان يكون منعك هذا مخطئا[٢٥]، واني مرسل اليك مع هذه الرسالة هدية مناسبة، واحسب ان تترك البضائع المعلّمة بعلامتنا علىٰ وضعها السابق، وموقفك الايجابي في هذا المجال يستدعي شكرنا وامتناننا».

إلا ان عبدالملك رفض تلك الهدية قائلا لمبعوث قيصر: ان هذه الرسالة لاجواب عليها.

ومرة اخرىٰ يُحاول قيصر اقناع عبدالملك فيضاعف له الهدية ويرفقها برسالة يقول فيها:

«انني اظن انك قد رفضت الهدية لاستصغارك لها وها انا ذا

---

٢٥ ــ ان قيصر يحاول بهذه المقدمة ان يثير تعصب عبدالملك حتىٰ يقوده الىٰ تصويب عمل الخلفاء السابقين فيكف عن منع الورق الرومي.

مضاعفها وارجو ان تقبلها مع الطلب الذي تقدمت به اليك سابقا».

فردّ عبدالملك الهدية ثانية من دون جواب ايضا.

وعندئذ كتب قيصر الىٰ عبدالملك:

«لقد رددت عليّ هديتي مرتين ولم تحقق لي رغبتي، وها اناذا للمرة الثالثة ارسل اليك هدية مضاعفة بالنسبة الىٰ ما سبقتها واقسم بالمسيح اذا لم تعد البضائع المعلّمة بعلاماتنا الىٰ وضعها السابق فانني سوف اصدر الاوامر بسكّ النقود الذهبية والفضية وهي تحمل شتم واهانة نبي الاسلام، وانت تعلم ان ضرب السكة من مختصاتنا نحن الرومان، وعند ما تشاهد هذه السكك مليئة بشتم نبيكم فسوف يتصبب جبينك من عرق الخجل والحياء، اذن من الافضل ان تقبل الهدية وتحقق المطلوب حتىٰ تستمر علاقات الصداقة بيننا كما كانت في الماضي».

فتحيّر عبدالملك في الجواب وقال:

أحسب انني اسوء مولود حظاً ولد في الاسلام حيث كنت السبب في هذا الامر وهو شتم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم). واخذ يشاور المسلمين فلم يجد عند احد منهم حيلة. فقال له احد الحاضرين: انك لتعرف المخرج من هذا المأزق ولكنك تتعمد في الاعراض عنه.

فقال عبدالملك: ويحك وماهي تلك الطريقة التي اعرفها؟

فأجابه الرجل: لابد لك ان تطلب حلّ هذه المشكلة من «باقر» اهل البيت (عليهم السّلام).

فصدّق عبدالملك قوله وكتب الىٰ والي المدينة:

«ان اشخص الىٰ الشام الامام الباقر (عليه السّلام) محترماً مكرماً»، واستبقىٰ مبعوث قيصر في الشام حتىٰ وصل الامام

(عليه السّلام) اليها وحدّثوه بالموضوع فقال (عليه السّلام):

ان تهديد قيصر في مورد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لن ينفّذ، واللّه سبحانه لن يتركه يفعل هذا الفعل، وطريق الحل سهل يسير أيضا، فاجمع الآن اصحاب الصناعات وامرهم بضرب السكك وليخطوّا علىٰ أحد وجهي العملة سورة التوحيد وعلىٰ الوجه الآخر اسم النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم)، وبهذا نستغني عن مسكوكات الروم.

و شرح لهم الامام (عليه السّلام) ما يتعلق بوزن السكك فقال لابد ان يكون وزن كل عشرة دراهم من الانواع الثلاثة للسكك سبعة مثاقيل[٢٦]، وامرهم بذكر اسم البلد وتاريخ عام ضربها في تلك المسكوكات.

واصدر عبدالملك اوامره لتنفيذ ما قاله الامام (عليه السّلام) وكتب الىٰ جميع البلاد الاسلامية يأمرهم ان يتعاملوا بالمسكوكات الجديدة، وكل من كانت لديه سكة قديمة فليسلمها للمسؤولين وليستلم مكانها سكة اسلامية، ثم اعلم مبعوث قيصر بما تمّ اتخاذه من اجراء واعاده الىٰ بلاده.

واُخبر قيصر بماجرىٰ فاقترح عليه اصحاب بلاطه ان ينفّذ ما هدّد

---

٢٦ ــ قال الامام (عليه السّلام): لتضرب ثلاثة انواع من السكك: النوع الاول تزن فيه كل عشرة دراهم عشرة مثاقيل، والنوع الثاني تزن فيه كل عشرة دراهم ستة مثاقيل، والنوع الثالث تزن فيه كل عشرة دراهم خمسة مثاقيل. وبهذا الشكل تصبح كل مجموعة مكونّة من ثلاثين درهما من الانواع الثلاثة تزن واحداً وعشرين مثقالاً، ويعتبر هذا مساويا للسكك الرومية. وقد اُمر المسلمون بان يسلّموا ثلاثين درهما روميا تزن واحداً وعشرين مثقالاً ليستلموا مكانها ثلاثين درهماً جديداً اسلاميا.

به، فأجابهم قيصر: انني اردت بهذا التهديد ان اغضب عبدالملك، واما الآن فان تنفيذ ذلك التهديد يعتبر امراً لغواو عبثا لان البلاد الاسلامية الآن لا تتعامل بالنقود الرومية.[٢٧]

أصحاب الامام الباقر (عليه السّلام)

تربّى في مدرسة الامام باقرالعلوم ــ صلوات اللّه وملائكته عليه ــ تلامذة بارزون ممتازون نشير اشارة عابرة الىٰ اسماء بعض منهم:

١ ــ «ابان بن تغلب»: وقد حضر مجلس ثلاثة من الائمة هم الامام زين العابدين والامام محمدالباقر والامام جعفر الصادق (عليهم السّلام)، وقد كان ابان من ابرز الشخصيات العلمية في عصره، وكان متضلعا في علم التفسير والحديث والفقه والقراءة واللغة.

وكانت منزلته العلمية رفيعة الىٰ الحدّ الذي امره الامام الباقر (عليه السّلام) ان يجلس في مسجد المدينة و يفتي الناس، معلّلاً ذلك:

---

٢٧ ــ «المحاسن والمساوئ» للبيهقي ــ ج ٢ ص ٢٣٢ــ٢٣٦ ــ طبعة مصر، «حياة الحيوان» للدميري الطبعة الحجرية ص٢٤. نقلنا هذا باختصار وبالمعنىٰ في بعض المجالات.

ملاحظة: لقد لا حظنا في هذه القصة ان المسكوكات الاسلامية قد صيغت وراجت في زمان الامام الباقر (عليه السّلام) وباقتراح منه، ولايتنافىٰ هذا مع ما هو وارد في بعض الكتب ان الامام عليا (عليه السّلام) قد أمر بضرب السكك الاسلامية في البصرة فكان بذلك المؤسس لهذه النهضة، وذلك لانه يمكن الجمع بين هذين بان بدء ضرب السكك كان في زمان الامام علي (عليه السّلام)، ثم تكاملت هذه الصناعة وشاعت في زمان الامام الباقر (عليه السّلام). ومن احب مزيداً من البحث حول هذا الموضوع فليراجع كتاب غاية التعديل للمرحوم سردار الكابلي ص١٦.

بانني احب ان يرىٰ الناس امثالك بين شيعتنا.

وكلما دخل ابان الىٰ المدينة تبعثرت حلقات الدرس المنعقدة فيها لتجتمع اليه في مسجد المدينة فتترك له منصة الخطابة التي كان يشغلها النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما بلغ الامام الصادق (عليه السّلام) نبأ وفاته قال:

«اما والله لقد آلم قلبي موت أبان».[٢٨]

٢ ــ «زرارة»: ان علماء الشيعة يعدون ستة رجال هم أفضل من رباهم الامامان الباقر والصادق عليهما السّلام، ويعتبر زرارة واحداً من هؤلاء.

يقول الامام الصادق (عليه السّلام): لولم يكن «بريد بن معاوية» و «ابوبصير» و «محمدبن مسلم» و «زرارة» لاندثرت آثار النبوة «علوم الشيعة»، فهؤلاء امناء الله علىٰ حلاله وحرامه.

و يقول ايضا:

«بريد» و «زرارة» و «محمد بن مسلم» و «الاحول» هم أحب الناس اليّ احياءً وامواتا.

وقد كان زرارة في حبه للامام صامداً وصلبا بحيث اضطر الامام الصادق (عليه السّلام) للتظاهر بانه يقدح فيه وينال منه حفاظاً علىٰ حياته، وقد بعث اليه سراً: انني انما أقدح فيك للتأمين علىٰ حياتك فان الاعداء يبذلون قصارىٰ جهدهم لايذاء من يحبنا ويتمسك بنا، وقد اشتهرعنك انك من محبينا، ولهذا فقد اضطررت للتظاهربالانتقاص منك.

---

٢٨ ــ جامع الرواة ــ ج ١ ص ٩.

وقد كان لزرارة حظّ وافر من القراءة والفقه والكلام والشعر والادب العربيين، وكانت علامات الفضيلة والتدين واضحة عليه.[٢٩]

٣ ــ «الكميت الاسدي»: وكان شاعراً راقيا، وقد استخدم لسانه الطلق ونظم شعره العذب الرصين في الدفاع عن اهل البيت (عليه السّلام)، و يعدّ شعره قاصما لظهور الاعداء وفاضحا لقبائحهم بحيث قد هُدّد بالقتل مرات عديدة من قبل الخلفاء الامويين.

وذكر الحقائق ولا سيما الدفاع عن أهل بيت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في ذلك الزمان كان من الخطورة بمكان بحيث لا يجرؤ عليه إلا الرجل الشجاع، ويعدّ الكميت من اقوى الشخصيات التي لم تهب الموت في مرحلة الحكم الاموي، وقد اعلى الحق بكل ما يستطيع من قوة واوضح للناس الوجه الحقيقي للأمويين.

و يصف الكميت في بعض اشعاره الائمة الحق في مقابل بني امية بهذه الصورة:

«ساسة لا كمن يرى رعيه النا ... س سواء ورعية الانعام
لا كعبد المليك ولا كالوليد ... او سليمان بعد او كهشام»

و يصف الحاكم الاموي فيقول:

«مصيب على الاعواد يوم ركوبها ... بما قال، مخطئ حين ينزل
كلام النبيين الهداة بفيهم ... وافعال اهل الجاهلية يفعل»[٣٠]

وكان الكميت مغرماً بحب الامام الباقر (عليه السّلام)، وهو ينسى

---

٢٩ ــ جامع الرواة ــ ج ١ ص ١١٧ و ص ٣٢٤ــ٣٢٥.

٣٠ ــ الشيعة والحاكمون ص ١٢٨.

نفسه تماماً في سبيل هذا الحب، وفي احد الايام كان ينشد للامام (عليه السّلام) بعض الشعر الذي نظمه في مدحه، فاتجه الامام (عليه السّلام) نحو الكعبة وردّد ثلاث مرات: اللهم ارحم الكميت، والتفت نحو الكميت قائلا له: لقد جمعت لك من اهل بيتي مائة الف درهم.

فقال الكميت: واللّه لا اريد ذهبا ولا فضة، وانما اريد منك ان تمنحني واحداً من ثيابك. فاعطاه الامام ثوبه.[٣١]

وفي احد الايام كان جالساً عند الامام الباقر (عليه السّلام) فأخذ الامام (عليه السّلام) يقرأ هذا البيت من الشعر متذمراً من اوضاع زمانه:

ذهب الذين يُعاش في اكنافهم ... لم يبق إلاشاتم أو حاسد

فأجاب الكميت علىٰ الفور:

وبقىٰ علىٰ ظهر البسيطة واحد ... فهو المراد وانت ذاك الواحد[٣٢]

٤ ــ «محمد بن مسلم»: وهو فقيه اهل البيت ومن الاصحاب الاوفياء للامامين الباقر والصادق عليهما السّلام، وكما ذكرنا من قبل فان الامام الصادق (عليه السّلام) كان يعدّه من جملة الرجال الاربعة الذين خلدوا آثار النبوة.

ومحمد هو من اهل الكوفة وقد قدم الىٰ المدينة ليكتسب العلم من الامام الباقر (عليه السّلام) (هذا البحر الزاخر)، وبقي في المدينة لهذا الغرض اربع سنين.

---

٣١ ــ سفينة البحار ــ ج ٢ ص ٤٩٦.

٣٢ ــ منتهىٰ الآمال ــ طبعة عام ١٣٧٢ هـ. ق. ج ٢ ص ٧.

يقول «عبدالله بن يعفور» ذكرت للامام الصادق (عليه السّلام) انني في بعض الاحيان اتعرّض لأسئلة لا اعرف جوابها ولا سبيل لي للوصول اليك، فماذا افعل؟

فدلّني الامام (عليه السّلام) علىٰ «محمد بن مسلم» وقال لي: لماذا لا تسأله...[٣٣]

و جاءت امرأة في الكوفة الىٰ دار محمد بن مسلم ليلاً وقالت له: لقد ماتت زوجة ولدي وفي بطنها جنين فكيف اتصرّف؟ قال لها محمد بن مسلم: حسب ما امر به الامام الباقر (عليه السّلام)، لابد من شق بطنها واخراج الوليد ثم تدفن الميتة.

ثم التفت الىٰ المرأة وسألها:

من الذي دلّك علي؟

فقالت: لقد ذهبت الىٰ «ابي حنيفة» استفتيه فاعتذر عن الجواب وأمرني بالذهاب الىٰ محمد بن مسلم وقال لي ان افتاك بشئ فأعلميني بالجواب.

وفي احد الايام بعد هذه الحادثة رأىٰ محمد بن مسلم ابا حنيفة في مسجد الكوفة وهو يحدث اصحابه في تلك المسألة ويحاول ان ينسب الاجابة لنفسه. فتنحنح محمد بن مسلم معرّضاً به ففهم ابوحنيفه مقصوده فقال له:

«غفر الله لك لماذا لا تتركنا نعيش».[٣٤]

---

٣٣ ــ تحفة الاحباب للمحدث القمي ص ٣٥١ ــ جامع الرواة ــ ج ٢ ص ١٦٤.

٣٤ ــ رجال الكشي ــ ص ١٦٢ ــ طبعة جامعة مشهد.

شهادة الامام الباقر (عليه السّلام)

لقد سقي الامام باقرالعلوم السم واستشهد في السابع من ذي الحجة الحرام عام ١١٤ هجري، وكان عمره عندئذ سبعة وخمسين عاماً وذلك في عصر الحاكم الاموي الجائر «هشام بن عبدالملك».

وفي ليلة وفاته قال للامام الصادق عليه السّلام:

«هذه الليلة سوف ارحل من هذه الدنيا، فقد رأيت والدي وهو يحمل الي شراباً عذبا فتناولته فبشّرني بدار الخلود ولقاء الحق».

وفي اليوم التالي ووري الجسد الطاهر لذلك البحر الزاخر بالعلم الالهي في ثرىٰ البقيع الىٰ جوار قبر الامام الحسن وقبر الامام السجاد (عليهما السّلام)، صلوات اللّه وسلامه عليه.[٣٥]

ولنجلس الآن علىٰ الساحل لنتأمل في نهايات امواج علمه (عليه السّلام) وذلك من خلال الكلمات التاليه:

«الكذبُ آفة الايمان».[٣٦]

«لا يكون المؤمن خوّافاً ولا حريصاً ولا بخيلاً».[٣٧]

«ان الحريص علىٰ الدنيا مثل دودة القز كلما زادت في لفّ الشرنقه حول نفسها تعسّر عليها الخروج منها...»[٣٨]

---

٣٥ ــ تراجع الكتب التالية في هذا المجال: الكافي ج ١ ص ٤٦٩، وج ٥ ص ١١٧. بصائرالدرجات ص ١٤١ ــ الطبعة الحجرية. تواريخ النبي والآل للتستري ص ٤٠. الانوار البهية للمحدث القمي ــ الطبعة الحجرية ص ٦٩.

٣٦، ٣٧، ٣٨ ــ وسائل الشيعة ــ الطبعة الحجرية ــ ج ٢ ص ٢٣٣، ج ٦، ص ٤٧٤.

«احذروا القدح بالمؤمنين».[٣٩]

«احب اخاك المسلم واحبب له ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها».[٤٠]

«اذا جاء مسلم الىٰ بيت اخيه المسلم ليزوره أو ليطلب منه حاجة وكان صاحب البيت في بيته فلم يأذن له بالدخول ولم يخرج للقائه فان صاحب هذا البيت يكون مورد لعنة اللّه حتىٰ يلتقيا...»[٤١]

«ان اللّه ليحبّ الانسان ذا الحياء الصبور».[٤٢]

«من حبس غضبه عن الناس حبس اللّه عنه عذاب القيامة.»[٤٣]

«بئس اولئك القوم الذين يعدّون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امراً معيبا».[٤٤]

«ان اللّه ليعادي عبداً يدخل العدو الىٰ بيته وهو لا ينهض لمقاومته».[٤٥]

٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣ ــ نفس الكتاب السابق ــ ج ٢ الصفحات ٢٤٠، ٢٢٩، ٢٣١، ٤٥٥، ٤٦٩.

٤٤ ــ فروع الكافي ص ٣٤٣.

٤٥ ــ وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٣٣.